الحياة الاجتماعية
في بلاد الحجاز في العصر الفاطمي

الباحثة/ هناء فتحي محمد مصطفى
إشراف
أ.د/ نعمة علي مرسي

طبقات المجتمع :

ضم المجتمع الحجازى العديد من سكان العالم الإسلامى وذلك لأهميته الدينية عند المسلمين ، لذا اختلط السكان الأصليون مع المجاورين الذين يفدون إلى الحرمين الشريفين، مما زاد بالتالى أعداد السكان القاطنين فى مكة والمدينة المنورة.

ونوجزهم فيما يلى:

أولا: – الأمراء:

كان أمراء مكة من أسرة الأشراف الحسنيين من أبناء محمد بن جعفر الحسنى محمد بن سليمان[1]، واستمرت هذه الأسرة حتى استطاع أبو هاشم محمد بن جعفر سنة ٥٩٧ / ١٢٠٣م ٤٥٥هـ أن ينتزع إمارتها واستمر حتى سنه ٥٩٧هـ / ١٢٠٠م.

واتصف الأشراف بحسن سيرتهم ومعاملتهم الحسنة بأهل البوادى من القبائل كذا الأسر المقيمة .[2]

وتمتع الأشراف فى المجتمع الإسلامي، والفاطمى بوجه خاص بمكانة مرموقة، جعلت منهم طبقة مميزة تقابل بالاحترام والتقدير، ويمكننا أن نقسم الأشراف فى العصر الفاطمي إلى قسمين:

---

(1) تتمثل أسرات الأشراف في بني سليمان أبناء الحسن بن جعفر الحسني ، تولي أمر مكة سنة ٣٥٨ هـ /٩٦٨م ، ثم أسرة الهواشم سنة ٤٥٥هـ /١٣٦٣م ، وأخيراً أبناء قتادة بن إدريس سنة ٥٩٧ هـ/١٢٠٠م .

(ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج١٢ ، ص ١٧٦ ، البرادي : الدرة السنية ، ص ٢٢ ، مساعد بن منصور : جداول أمراء مكة ، ص ١٨) .

(2) انظر : الملاحق .

أ) **الأشراف الأقارب :** [١]

هم الذين ينتسبون إلى الفرع الفاطمي، وكان يطلق عليهم "الأشراف الإسماعيليون" ، وكان يعين لهم موظف كبير يشرف على مصالحهم، ويكون الصلة بينهم وبين الخليفة فيما يتعلق بشؤون حياتهم الخاصة والعامة ، ويحافظ على أنسابهم وكان يطلق عليه "نقيب الأشراف" كما كان يلقب أحيانا "بالأمير" [٢]. ومن أمثلة أولئك الأشراف محمد بن جعفر بن أبي هاشم وكان يلقب بشريف مكة سنة ٤٥٤ هـ / ١٠٦٢م [٣].

ب) **الأشراف الطالبيون :**

هم الذين ينتسبون إلى أبى طالب عم الرسول (ﷺ) وكانت لهم نقابة خاصة تعرف بنقابة الطالبيين ، وكانت هذه النقابة تسند إلى أحد الأشراف المميزين أو الشهود المعدلين . [٤]

وحينما استقل أبناء الحسن والحسين ابني على بن أبى طالب كرم الله وجهه بمكة والمدينة وتولوا الأمور بالحجاز أطلق عليهم الفاطميون لقب الأشراف[٥]، وصار هذا اللقب منذ تلك الفترة يطلق على أمراء الحرمين الشريفين ، وأفراد عائلتهم الذين كانوا يعتمدون عليهم فى إدارة شؤون الإمارة، ولم يكن هذا اللقب معروفاً من قبل فى الحجاز [٦].

ولما كان الفاطميون يميلون إلى مظاهر الترف والأبهة وتكتظ قصورهم بالتقاليد والعادات المترفة ؛ أثر هذا فى حكام مكة من الأشراف، وبدأت الأبهة تأخذ طريقها إلى مجالسهم ومواكبهم وحفلاتهم مما لا عهد لمكة به من قبل، وشرعوا

---

(١) الفاسي : شفاء الغرام ، ج٢ ، ص ٢٩٧ .

(٢) المقريزي " تقي الدين لدين بن علي بن عبدالقادر ت : المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار ، حققه ، د. أيمن فؤاد سيد ، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي ، ط٢ ، ١٤١٦ هـ / ١٩٩٥م ، ج١ ، ص٣٨٦ .

(٣) ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ، ص ٥٥ .

(٤) المقريزي : المصدر السابق ، ج٢ ، ص ٣٨٧ –٣٨٨ ، عبدالمنعم سلطان : المجتمع المصري في العصر الفاطمي ، ص ٣٦ ، صبحي عبدالمنعم : العلاقات بين مصر والحجاز ، ص ٢٢٦ .

(٥) المقريزي : الخطط ، ج١ ، ص ٣٨٦.

(٦) أحمد السباعي : تاريخ مكة ، ج١ ، ص ٢١٧ ، حسن إبراهيم : تاريخ الإسلام ، ج٤ ، ص٣٢٠.

يحتجبون عن رعاياهم ، وابتدعوا المواكب التى تمشى بين أيديهم كلما غدوا أو راحوا.[١]

وظلت هذه المظاهر سائدة طوال العصر الفاطمى فقد وصف ابن جبير[٢] خروج أمير مكة للاحتفال بالعمرة الرجبية بقوله "خرج الأمير يزحف بين قواده وأبناؤه أمامه، والرايات تخفق أمامه والطبول والدبادب بين يديه ".

ثانياً: أرباب الوظائف الدينية :

من أهم الوظائف الدينية فى مكة المكرمة والحجاز بعامة فى عهد الفاطميين القضاة والدعاة والشهود العدول وقراء الحضرة، والعلماء والخطباء، والقراء، والمؤذنون وكانت وظيفة قاضى القضاة من أجل الوظائف الدينية وأرفعها شأناً، وحينما يجمع بين القضاء والدعوة، يلقب بقاضى القضاة وداعى الدعاة، ويخرج موكبه عند التعيين بالطبول والأبواق والبنود[٣].

وكان تعين القاضى يصدر عن الخليفة الفاطمي فى العصر الفاطمي الأول عند ما كان الوزراء من أرباب الأقلام، أما فى العصر الفاطمي الثانى عندما أصبح الوزراء من أرباب السيوف، كان الوزير يعين القاضي لأنه ينوب عنه، وفى هذه الحالة كان لا يلقب بقاضي القضاة لأن هذا كان من ألقاب الوزير وكان من الرسوم المتبعة فى الدولة الفاطمية إصدار سجل بتولية القاضي من ديوان الإنشاء ويقرأ هذا السجل على الملأ.[٤]

وقد تأثر أهل الحجاز بالفاطميين ، فوجدت وظائف القضاء والخطابة والإمامة وكان به الموظفون من القضاة والخطباء والأئمة والقراء والمؤذنين [٥].

وكان منصب القضاء بمكة من أجل المناصب[٦]، إذ تعتبر وظيفة القاضى الوظيفة الثانية بعد ولاية مكة والمدينة، ولابد أن يكون قاضى البيت الحرام والمسجد النبوى من كبار العلماء والفقهاء وأشهر من تولى منصب القضاء بمكة عائلة الطبرى ، فقد ذكر

---

(١) أحمد السباعي : المرجع السابق ، ج١ ، ص ٢١٤، حسن إبراهيم : تاريخ الإسلام ، ج٤ ، ص٣٢٠.

(٢) ابن جبير : رحلة ابن جبير ، ص ١٠٩ .

(٣) عبدالمنعم سلطان : المجتمع المصري في العصر الفاطمي ، ص ٥١- ٥٢ .

(٤) المقريزي : المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار ، ج١ ، ص ٤٠٥ ، عبدالمنعم : الحياة الاجتماعية في العصر الفاطمي ، ص ٤٨ ٤٩ .

(٥)صبحي عبدالمنعم محمد : العلاقات بين مصر والحجاز ، زمن الفاطميين والأيوبيين ، ص ٢٢٥ – ٢٢٨

(٦) القلقشندي : صح الأعشي ، ج١٢ ، ص ٢٤١ .

المؤرخ الفاسى [١] ، عدداً كبيرا منهم نذكر على سبيل المثال وليس الحصر: – إبراهيم بن على بن الحسن الشيبانى "أبو إسحاق الطبري المكي" ت ٥٢٣هـ / ١١٢٨م[٢].

- محمد بن على بن الحسين الشيبانى (أبو المظفر الشيبانى الطبرى المكي) ت ٥٤٥هـ / ١١٥٠م [٣].
- عبد الرحمن بن على بن الحسين الشيبانى(أبو القاسم الشيبانى الطبري المكي) ت ٥٥٤هـ / ١١٥٨م[٤].

ومن أشهر قضاة المدينة المنورة أبو الطيب الحسنى الحنفى الأزهرى، قد وفد إلى مصر ثم رحل إلى المدينة وتولى أمر القضاء فيها، ومن أبنائة أحمد وعباس اللذان توليا الخطابة والإمامة بالمسجد النبوى الشريف[٥]، ويبدو إنه كان قاضياً للسنة لأن قاضى الشيعة على بن سنان الحسينى كان يتولى القضاء للشيعة بالمدينة المنورة[٦].

وكان للخطيب فى مكة مراسم يبدو أنها كانت منذ العصر الفاطمى، فقد كانت خطبة الجمعة يتولاها الخطيب الشافعى الذى كان يحضر إلى الحرم لابساً الخلعة الخليفية ويتقدم إلى المنبر بين رايتين سوادوين يميسكهما رجلان من قومة المؤذنين ، ...." [٧].

أما فى المدينة المنوره فكان الخطيب يتقدم للخطبة يوم الجمعة بعد أن يؤذن المؤذن فتتقدمه الرايتان السوداوان وترتكزان فى جانبى المنبر فيقف بينهما[٨].

أما أرباب الوظائف الدينية فى بلاد الحجاز كانوا ينقسمون إلى فئتين :

– **<u>الفئة الأولى:</u>** تمثل أهل السنة بمذاهبهم حيث كان لكل فئة قضاتهم وفقهاؤهم وعلماؤهم .. وقراؤهم فى الحرم المكى [٩].

---

(١) الفاسي : العقد الثمين ، ج٣ ، ص٢٣٣– ٢٣٤ .

(٢) عمر بن فهد : إتحاف الوري ، ج٢ ، ص ٥٠١ .

(٣) الفاسي : العقد الثمين ، ج٣ ، ص ٢٣٥ .

(٤) عمر بند فهد : إتحاف الوري ، ج٢ ، ص ٥٠١ .

(٥) ابن العماد : شذرات الذهب ، ج٦ ، ص ٢٧٧ .

(٦) السمهوري : الوفا بما يجب لحضرة المصطفي ، ص ١٤٩ .

(٧) ابن العماد : شذرات الذهب ، ج٦ ، ص ٢٧٧ .

(٨) ابن جبير : الرحلة ، ص ١٧٩ .

(٩) السمهوري : الوفا بما يجب لحضرة المصطفي ، ص ١٤١–١٤٢ .

- **الفئة الثانية** : قضاة وفقهاء وخطباء وأئمة وقراء الشيعة الحسينيين بالمدينة المنورة[١].

- **أرباب الوظائف الدينية فى الحجاز على سبيل المثالى:**

أبو عبد الله الكازرنيى " **محمد من حسين محمد**" مقرىء مكة ت ٤٤٠هـ / ١٠٤٨[٢].

أحمد بن أسد بن أحمد بن باذل الكومبى ، شيخ الحرم الصوفى ت ٤٦٠هـ / ١٠٦٨م[٣].

محدث مكة أبو الفضل جعفر بن يحيى بن إبراهيم التميمى المعروف بابن الحكاك ويذكر الفاسى[٤] " أنه كان موصوفاً بالمعرفة والخفظ والإتقان وكان أمير مكة يرسله إلى الخلفاء والملوك ويأخذ الأموال منهم لأشراف الحجاز ويحمل كسوة الكعبة"[٥]، ويولى الإشراف على كسوة الكعبة حتى تصل إلى مكة.

ثالثا : المجاورون :

قوم قدموا من مختلف أنحاء العالم الإسلامى إلى مكة المكرمة للمجاورة فى الحرم المكى، الذى جعله الله مثابة للناس وأمناً، فقد قال الله تعالى : ﴿ **وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا** ﴾[٦].

وكان المجاورون منهم التجار والعلماء وطلبة العلم يطلبون رضوان الله [٧]، ثم ما لبث أن استقروا فى مكة المكرمة، واندمجوا فى مجتمعها، وشاركوا فى حركتها العلمية والاقتصادية[٨].

---

(١) السمهوري : الوفا بما يجب لحضرة المصطفي ، ص ١٤١- ١٤٢ .

(٢) الفاسي: العقد الثمين ،ج٢ ، ص ٦ ، عمر بن فهد : إتحاف الوري ، ج٢ ، ص ٤٦٢ .

(٣) الفاسي : المصدر السابق ، ج٢ ، ص ٦ ، عمر بن فهد : المصدر السابق ، ص٤٦٢ .

(٤) الفاسي : المصدر السابق ، ج٣ ، ص ١٧ .

(٥) عمر بن فهد : إتحاف الوري ، ج٢ ، ص ٤٨٦ .

(٦) سورة البقرة ، الآية (١٢٥) .

(٧) المشيقح : تاريخ أم القري ، ص ٤٧ ، الفاسي : شفاء الغرام ، ج١ ، ص ٩٨ .

(٨) عماد الدين محمد بن محمد بن حامد (٥١٩هـ / ت ٥٩٧هـ) : سنا البرق الشامي ، اختصار الفتح بن علي البنداري من كتاب البرق الشامي ، (٥٥٢ – ٥٨٣ هـ) ، تحقيق : فتحية النبراوي ، مكتبة الخانجي بمصر ، ١٩٧٩ م ، ص١٣٤ .

وكان للمجاورين دور بارز فى كل ما يدور من أحداث داخل مكة ، فحينما رأى المجاورون هادى المستجيبين[١]، الذى كان يدعو إلى عبادة الحاكم مضوا إلى أبى الفتوح وذكروا له حكايته فأمر بقتله[٢].

كذلك عندما انتقص الحاكم بأمر الله بعض الصحابة، وأمر القاضى إبراهيم بن إسماعيل الموسوى قاضى مكة بقراءته على الناس، غضب المجاورون غضبا شديدا وثاروا فأرجأ القاضى الخروج وامتنع عن التنفيذ[٣].

وإن دل ذلك على شيء فإنه يدل على مكانة المجاورين ومدى تأثيرهم فى الحياة السياسية في بلاد الحجاز حتى أنه أصبح لهم كلمة مسموعة عند القضاة في مكة المكرمة .

دور المرأة فى الحجاز:

ظهرت المرأة الحجازية على الساحة الداخلية والخارجية وإن كانت المصادر لاتمدنا بتفاصيل كافيه عن حياتهن الخاصة، وما كن يحترفن من أعمال عادية فى نطاق الأسرة.

ولكن على الساحة الداخلية كانت عامة النساء تباشر بعض الأعمال البسيطة مثل تغسيل الموتى من النساء،ومنهن من يعملن فى التجارة وخاصة بيع الغزل والملابس الجاهزة [٤].

فى حين اشتهرت بعض النساء الفاضلات فى الوعظ وإلقاء الدروس الدينية ، حتى أنه اشتهرت السيدة أم الخير الحجازية بإلقاء الدروس الدينية ، التى اشتهرت بأعمال الخير وكان لها رباط باسمها فى القرافة الكبرى، وقد انتقلت هذه السيده

---

(١) هو : حمزة بن أحمد ، لقب بالهادي ، وهادي المستجبين وأقام بمسجد خارج القاهرة ، وقد تساهل في أعمال الشريعة فأسقط جميع التكاليف في الصلاة والصوم واستجاب له بعض العامة ، وظهر علي يديه مذهب الدرزية ، وقد ظهر في أواخر أيام الحاكم ، وكان يدعو إلي عبادته ، فلما جاء إلي مكة نزل ضيفاً علي أبي الفتوح الحسن بن جعفر الحسني فلما رآه المجاورون يطوف بالكعبة ، ذكروا شأنه إلي أبي الفتوح فقتله . (المقريزي : إتعاظ الحنفا ، ج٢ ، ص ١١٣ ، عمر بن فهد : إتحاف الوري ، ج٢ ، ص ٤٤٥) .

(٢) الفاسي : العقد الثمين ، ص ٣٥٥ ، عمر بن فهد : إتحاف الوري ، ج٢ ، ص ٤٤٥.

(٣) عبدالعزيز بن فهد : غاية المرام ، ج١ ، ص ٤٩٣ ، صبحي عبدالمنعم محمد : العلاقات بين مصر والحجاز،ص ٢٣٥ .

(٤) محمد السروري : الحياة الاجتماعية في العصر الفاطمي ، ص ١٦٢ ، عبدالمنعم صبحي : العلاقات بين مصر والحجاز ، ص ٣٢٢ .

الفاضلة إلى مصر، وهناك ذاع صيتها ، فكانت تعقد مجالس الوعظ للنساء فى جامع عمرو بن العاص[١].

كما اشتهرت السيدة جميلة بنت الملك ناصر الدوله بن حمدان صاحب الموصل سنه ٣٦٦هـ/ بأفعال جليلة، فقد قامت باصلاح طريق ركب الحاج العراقي، كما أنها أصلحت الطريق بين العراق ومكة ، وزادت من عدد الآبار فى الأماكن التى لا يوجد بها سوى بئر واحد، وأنفقت أموالا كثيرة على العربان الذين يقطنون الطريق[٢]، منعاً للفتن والغارات التى يغيرون بها على الحجاج والتجار، والقوافل التجارية المارة على مكة المكرمة.

كذلك اشتهرت بعض النساء بكتابة الشعر، من أمثال خديجة بنت شهاب الدين أحمد بن عبد العزيز بن القاسم الهاشمى العقيلى القويرى، كان لها عدة قصائد فى المدائح النبوية[٣].

وزينب بنت مكي بن علي بن كامل الحرازي ، كانت محدثة قضت عمرها في طلب الحديث والرواية والعبادة وتلاوة القرآن ، وسمعت الحديث من كثيرين وأجاز لها الكثيرون .

ونخلص مما سبق إنه قد اعترى المكيين والحجازيين فى تعليم الفتور بناتهم فى تلك الحقبة التاريخية التى نحن بصددها نوعا من الفتور، وبما صعب الأمر عليهن فى الظهور منطقة تموج بالاضطرابات وقطاع الطرق ، ومنطقة عانت ضيق العيش والكوارث والمجاعات والقتل والنهب، مما أدى إلى استقرارها فى البيت خوفا من القتل أو السبى. وإن قلة قليلة فقط ظهرت على الساحة، فكان لهن دور بارز فى مجالات مختلفة من الحياة.

---

(١)الصباغ محمد بن أحمد بن سالم بن محمد المالكي المكي : تحصيل المرام في أخبار البيت الحرام، دراسة وتحقيق عبدالملك بن عبدالله بن دهيش ، ج١ ، مطبعة مكة المكرمة ، ١٤٢٤ هـ /٢٠٠٤م ، ص ٦٢٣ .

* أم الخير الحجازية : لم تمدنا المصادر بنبذة عن حياتها ولكن اتفقت علي شهرتها وعلمها الواسع حتي ذاع صيتها في مصر وكانت تعظ في جامع عمرو بن العاص . الصباغ : تحصيل المرام ، ج١ ، ص٦٢٤ .

(٢) بعد موسم الحج : أنتصر عضد الدولة ابن بويه علي ناصر الدولة بن حمدان وقد صادر ما بقي معه من أموال ،وأراد أسرها إلا أنها ألقت بنفسها في نهر دجلة تخلصاً من الأسر . (ابن الأثير : الكامل ، ج٧ ، ص ٥١٠) ، ابن خلدون : العبر ، ج٤ ، ص ١٠١ ، صبري عبدالمنعم : العلاقات بين مصر والحجاز ، ص ١٤٩ .

(٣) الفاسي :العقد الثمين ، ج٤ ، ص ٣١٨ ، عبدالباسط بدر : التاريخ الشامل للمدينة المنورة ، الجزء الأول ، مطابع المدينة المنورة ، ط١ ، ١٤١٤ هـ / ١٩٩٣ م ، ص ١٠٩ .

نساء العامة:

كانت النساء من الطبقة العامة يحترفن بعض الأعمال العادية كربة البيت، وكانت تباشر النساء بوجه خاص بعض الأعمال مثل تغسيل الموتى من النساء، والمزينات والقوابل، وكان بعضهن يعملن فى التجارة وخاصة بيع الغزل والملابس[١].

وكانت النساء العجائز والأرامل موضع عطف ورعاية من الدولة وخاصة من جانب نساء القصر وزوجات الخلفاء[٢]، وكانت النساء الثريات يقمن بمساعدة العجائز والأرامل ، فيروى المقريزى[٣] أن زوجة الخليفة الآمر أقامت داراً خاصة فى سنة ٥٢٦هـ / ١١٣٣م، وذلك لمساعدة العجائز والأرامل.

كما كان يخصص لعجائز القصر وأقارب الأشراف قصر خاص للسكنى يعرف بالقصر النافعى[٤].

الإماء والجوارى:

كانت الإماء والجوارى يجلبن من أسواق النخاسة بجميع البلاد، ومنهن الحبشيات والروميات والشركيسات والعربيات من مولدات المدينة والطائف واليمامة ومصر[٥] ، وكان أهل المدينة يكرهون اتخاذ الإماء أمهات أولادهم حتى نشأ فيهم على بن الحسن بن على – رض الله عنهم – وفاق أهل المدينة فقهاً وعلماً وورعاً فرغب أهل المدينة فى إتخاذ الجوارى [٦].

كما أن طبقة العبيد فى الحجاز لعبت دوراً كبيراً فى الأحداث السياسية خلال الحقبة التي نحن بصددها ، وكان لهم أثر بارز في الحياة الاقتصادية حيث قامت على أيديهم الأسس البارزة في التجارة والزراعة والصناعة[٧].

---

(١) عبدالمنعم عبدالحميد سلطان : المرجع السابق ، ص ١١٣-١١٤ .

(٢) المقريزي : الخطط ، ج٢ ، ص ٤٥٠ -٤٤٦ .

(٣) حسن ابراهيم حسن : الدولة الفاطمية ، ص ٢١٦ .

(٤) ابو المحاسن : النجوم الزاهرة ، ج٥ ، ص ٢١٨ .

(٥) حسن ابراهيم حسن : تاريخ الإسلام ، ج٢ ، ص ٤٣٢ – ٤٣٣ .

(٦) عبدالعزيز بن فهد : غاية المرام ، ج١ ، ص٥٧١ ، حسن إبراهيم : المرجع السابق ، ج٢ ، ص ٤٣٣ ، صبحي عبدالمنعم محمد : العلاقات بين مصر والحجاز ، ص ٢٣٧ .

(٧) عبدالباسط بدر : التاريخ الشامل للمدينة المنورة ، ج١ ، ص ١١١ .

ومن أشهر الجواري جارية يقال لها محبوبة كانت قد نشأت بالطائف ، وكان لها مولى قد عني بها، فبرعت فى فنون الأدب وأجادت الشعر، وكانت راوية ظريفة ومجيدة للغناء[١].

طبقه العامة :

هم عامة الناس وتتكون هذه الطبقة من التجار والفلاحين الذين كانوا فئة قليلة نظراً لطبيعة الحجاز الصحراوية، قليلة الأمطار والخامات التى تعتمد على الصناعة[٢].

أما أغلب سكان الحجاز يعملون بالرعي نظراً للبيئية التى كانوا يعيشون فيها ، وكان سكان البوادى يتألفون من مجموعات يرأسها شيخ القبيلة، وكان الأشراف يعتمدون عليهم فى حروبهم ، ففى سنة ٤١٢هـ / ١٠١٢م حشد أبو الفتوح الحسن بن جعفر الحسنى عددا من أبناء البادية وحارب رجلا من بنى حرام استولى على مدينة حلى[٣] ، فأخذها أبو الفتوح وانتصر عليه.

وقد هاجر كثير من هذه الطبقة إلى مصر فى العصر الفاطمى، واستقروا فيها وانتظم عدد منهم فى سلك الجندية بها، فقد ذكر الرحاله ناصر خسرو[٤] ، أن جيش الخليفة الفاطمى المستنصر كان به فرقه تسمى "البدو" وهم من أهل الحجاز، ويقال لهم الرماة ، وقد قدر عددهم بحوالى خمسين ألف فارس"[٥].

التجـــــار:

وفد إلى المدينتين الشريفتين العديد من التجار قادمين من أقطار مختلفة من العالم منها الهند والمغرب ومصر والأندلس، واستقروا فى هذه المدن[٦]. ويؤكد

---

(١) ابن الجوزي الحافظ جمال الدين أبي الفرج عبدالرحمن بن الجوزي القرشي البغدادي ، ت ٥٩٧ هـ : أخبار النساء ، هذبه وحققه إيهاب كريم ، دار النديم ، الطبعة الأولي ، ١٩٩١م ، ص ٥٩ .

(٢) جميل حرب : بلاد الحجاز واليمن ، ص ٢٣٠ .

(٣)حلي : مدينة صغيرة علي ساحل البحر الأحمر وهي محطة السفن الآتية من اليمن ،انظر الإدريسي : نزهة المشتاق ، ج١ ، ص ١٣٧ .

(٤) ناصر خسرو : سفرنامه ، ص ١١٢ .

(٥) ناصر خسرو : المصدر السابق ، ص ٩٤ ، صبحي عبدالمنعم محمد : العلاقات بين مصر والحجاز،ص ٢٣٩- ٢٤٠ .

(٦) إبراهيم رفعت : مرآة الحرمين ،ج١،ص ٢٠٠.علي السليمان : العلاقات الحجازية ، ص ٢٠٨ .

الفاسى[١] ، هذا القول بقوله: "إن هؤلاء التجار بنوا فى مكة أربطة كثيرة أوقفت على سكان هذه الأقاليم وجزء منها خصص لسكان هؤلاء الحجاج فى أيام الحج".

ويشبه التكوين الاجتماعى بالمدينة نظيره فى مكة من حيث طبقة الأشراف من بنى الحسين بن على كذلك سكانها الأصليين من الأوس والخزرج ثم قلة من مهاجرى قريش وكذلك المجاورين للحرم النبوى ومن أشهر العائلات بنى مهنى وآل الرفاعى وآل سفر، وآل الطيار، ومن هذه الأسر التجار والصناع وطلبة العلم والعلماء[٢].

طبقة العبيد:

كثرت هذه الطبقة فى بلاد الحجاز[٣] ، وكانت تضم أتباع الأمير وأعوانه وخواصه، وكان لكل أمير مجموعة من العبيد.

وكان للعبيد دور كبير فى الحجاز ووصل بعضهم إلى مرتبة الإمارة، إذ لما توفى الأمير شكر ابن أبى الفتوح الحسنى أمير مكة سنة ٤٥٣هـ / ١٠٦١م ، ولم يعقب ، تولى الإمارة خلفا له عبد من قواده يسمى طراد بن أحمد[٤]، واستمر فترة من الزمن حتى خلعه بنو أبى الطيب الحسينين وتولو الأمر منه.

وقد أسهم العبيد فى إثارة الشغب والفوضى بمكة فقد ذكر الفاسى[٥] ، أنه فى سنه ٥٥٧هـ / ١١٦٥م كانت بمكة فتنه بين أهلها والحجاج العراقيين سببها أن جماعة من عبيد مكة أثاروا الشغب ضد الحجاج بمنى ، فنفر عليهم بعض أصحاب أمير الحاج العراقى فقتلوا منهم جماعة ورجع من سلم إلى مكة فجمع العبيد حشودهم وأغاروا على جمال الحاج فأخذوا ما يقرب من ألف جمل، فنادى أمير الحاج العراقى فى جنده فركبوا بسلاحهم ووقع القتال بينهم ، فقتل جماعة من الحاج ، ونهب بعض منهم، فرجع أمير الحاج العراقى ولم يدخل مكة حتى أرسل إليهم أمير مكة يستعطفهم فرفضوا العودة[٦].

---

(١) الفاسي : شفاء الغرام ، ج٢ ، ص ١٠٢ .

(٢) ربيع : وثائق الجنيزة ، ص ٢٥ .

(٣) الفاكهي : أخبار مكة ، ج١ ، ص٣٠٩ .

(٤) ابن فهد : إتحاف الوري بأخبار أم القري ، ج٢ ، ص ١٤٠ .

(٥) الفاسي : شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام ، ج١ ، ص ٣٨٠ .

(٦) شفاء الغرام ، ج٢ ، ص ٢٢٩ .

وفى سنه ٥٦٦هـ / ١١٧٠م نهب عبيد الأمير مالك بن فليته بن قاسم الحسنى جده وأخذوا أموال التجار[١].

ويتضح لنا مما سبق أن طبقة العبيد لعبت دوراً بارزاً في بلاد الحجاز، مما حذي ببعضهم أن يصل إلي مرتبة الحكم ويتولي إمارة مكة ، بل وصل الأمر بهم إلي إثارة الشغب ضد الحجاج وزعزعة أمن مكة حتي بلغ الأمر إلي الاعتداء بالقتل ونهب الأموال .

(١) عمر بن فهد : إتحاف الوري ، ج٢ ، ص ٥٣٢ .